

Text coherence in Surat (Abs): Referral as a template

Yasmine Abdullah Saad

College of Languages and Translation || University of Jeddah || KSA

Abstract: This study seeks to read the Qur'anic text from the standpoint of textual linguistics, and to clarify one of the various textual interconnections in its levels, and to stand at the features of textual cohesion by referring to the pronoun in the Qur'anic text and specifically in Surat Abbas, and after the study the effect of the pronoun in forming the interconnection between the different verses is revealed. In her objective view that was the story of the great companion who came to the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, and that the Qur'an is the home for purifying souls, in addition to showing the condition of a disbeliever, and finally she expressed God's blessings on His servants whose thinking leads them to guidance and faith in the Last Day, on the Day of Resurrection Its horrors and reminded the two teams that won and lost the paradise.

This study reveals harmony and cohesion between the verses, despite their different topics and the effect of the conscience in shaping the general meaning of the surah, and by this the effectiveness of its role appears in achieving the structural cohesion of the surah, and the descriptive approach that relies on observing and extrapolating the pronoun in the verses has been followed, and the study reached several results, including the large number Referral by pronouns in the surah, where he found fifty-five pronouns in comparison to other referral tools

Keywords: text, text linguistics, referral, Surat (Abs).

التماسك النصي في سورة عبس: الإحالة أنموذجاً

ياسمين عبد الله سعد

قسم اللغة العربية || كلية اللغات والترجمة || جامعة جدة || المملكة العربية السعودية

الملخص: هدفت هذه الدراسة إلى قراءة النص القرآني من زاوية علم اللغة النصي، وبيان وجه من أوجه الترابط النصي المختلفة في مستوياتها، والوقوف عند ملامح التماسك النصي بواسطة الإحالة بالضمير في النص القرآني وبالتحديد في سورة عبس، وقد اتبعت الباحثة المنهج الوصفي الذي يعتمد على ملاحظة واستقراء الضمير في الآيات، وبينت الدراسة أثر الضمير في تكوين الترابط بين الآيات المختلفة في رؤيتها الموضوعية التي كانت تعبر قصة الصحابي الجليل عبدالله بن مكتوم الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان القرآن يعد موطن تركية النفوس، إضافة إلى بيان حال المرء الكافر، وأخيراً عبرت عن نعم الله على عباده التي يقودهم التفكير فيها إلى الهداية والإيمان باليوم الآخر، يوم القيامة وأهواله وذكر الفريقين الفائز بالجنة وخاسرها.

كما كشفت الدراسة عن التناغم والتماسك بين الآيات رغم اختلاف موضوعاتها، وأثر الضمير في تشكيل المعنى العام للسورة، وبه تظهر فاعلية دوره في تحقيق التماسك البنائي للسورة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من بينها كثرة الإحالة بالضمائر في السورة حيث وجد بها خمسا وخمسين ضميراً مقارنة بأدوات الإحالة الأخرى، فاسم الإشارة ورد مرة واحدة "أولئك" وكذا اسم الموصول "من"، وهذا دليل على أن الضمائر أقوى أدوات الربط.

الكلمات المفتاحية: النص، علم اللغة النصي، الإحالة، سورة عبس.

المقدمة

إن الدراسات اللغوية المعاصرة شهدت قفزة تطويرية هائلة منذ نهاية العقدين الآخرين من القرن العشرين، ويرجع سبب ذلك إلى أن علماء اللغة رفعوا لواء إعادة الربط بين اللغة والأدب، فكان نتاج ذلك نظريات ظهرت فيها ملامح التطور كنظرية نحو النص التي اهتمت بالنص وجعلته ذا قيمة.

فالنص يعد الصورة الكاملة التامة المتماسكة للتواصل بين أفراد الجماعة اللغوية، ومن أجل ذلك اتخذته الدراسات اللغوية واللسانية جوهرها لها، حيث يشكل نواة بحث هامة لديها، فجاءت مسميات عدة تدور في فلكه كعلم النص، لسانيات النص، لسانيات الخطاب... وجميعها تصب في ضرورة الخروج من البوتقة الضيقة لتحليل الجملة في فضاء تحليل النص؛ لأن تحليله يؤدي إلى فهم أوسع وأعمق لتلك الجمل المترابطة والمتماسكة، ومعرفة غاية كاتبها من تحليل نصه، وتحليل النص يعتبر اتجاهاً جديداً عمل على حراك التطور الذي شهدته الدراسات اللغوية واللسانية، فشغلت الدراسات في علم اللغة النصي حيزاً كبيراً منها.

فمن الاتجاهات والمجالات الحديثة التي ظهرت في الدراسات اللغوية "نظرية التماسك النصي" التي تبلورت، وتكون مفهومها وأركانها وقواعدها وأسسها على يد الثنائي هاليداي ورقية حسن؛ فالتماسك النصي نظرية تهتم بالوسائل والقواعد اللغوية وغير لغوية التي تربط بين أجزاء النص بعضها ببعض، فيقول دايك عنها: "أنه الاتصالات المنطقية المقدره للاستعمال اللغوي وهو لا يركز على معنى النص بل ينصب تركيزه على كيفية تركيب النص بحسبانه صرحا دلاليا". (2001: 75)

لذلك نجد أن وسائله . التماسك النصي . قد تنوعت ما بين الخارجية، الداخلية، دلالية، الشكلية المشتركة بينهم لا غنى عنها في تحليل النص ومنها: السياق، الإحالة، العطف، التكرار، الحذف، التخصيص التعميم، البديل، التأكيد... وبهذا يتضح أن مهمة تلك النظرية تتجلى في إبراز الخواص التي تؤدي إلى التماسك بين كلمات النص وجمله، فكل كلمة في النص تعد امتداداً لأخرى وكذلك الجملة، فالنص متداخل مترابط متماسك مع بعضه البعض كالجسد الواحد.

ومن أعلى النماذج وأرقاها التي يظهر فيها التماسك النصي قطعاً معجزة النبي ﷺ التي أنزلها الله عز وجل تحدياً لأهل الفصاحة والبيان، فالقرآن الكريم النموذج الأمثل في إظهار قواعد ووسائل تلك النظرية؛ لذا سيكون مجال البحث والدراسة في هذه الوريقات قائماً على دراسة التماسك النصي في سورة عبس. ويركز البحث منصفاً على دراسة وسيلة الإحالة؛ لأنها أكثر وسائل التماسك وجوداً في السورة لكون عنوانه: "التماسك النصي في سورة عبس الإحالة أنموذجاً" ويعود السبب في اختياره:

- الرغبة في تقديم بحث في الحقل المعرفي الجديد في الدرس النحوي واللغوي مرتبطاً بكتاب الله.
- إن الخطاب القرآني يمثل رسالة لغوية كاملة ناجحة فهو نص يملك قدرات تواصلية فائقة التأثير.
- وقع الاقتصار على سورة عبس لقلة عددها؛ مما يناسب طبيعة البحث.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلته في إيجاد جواب لسؤال: كيف تحقق التماسك النصي بين تلك الآيات من خلال أداة الإحالة؟

فروض الدراسة:

1. الإحالة ومساهمتها في تحقيق فهم وتوضيح دلالة الآيات.
2. دور الضمير وأهميته في فهم العلاقات الخفية في النص.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1. وضع السورة المختارة في بوتقة التحليل النصي؛ من أجل استجلاء عنصر من عناصر التماسك النصي.
2. بيان الدور الفاعل الذي تقوم به الإحالة في التماسك النصي.

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث من خلال ما يلي:

- تسهم هذه الدراسة في بيان وسيلة الإحالة ودورها في تحقيق التماسك بين الآيات.
- تطبيق القضية المدروسة على سورة من سور القرآن الكريم، وعظمة القرآن تكسب الموضوع زيادة في الأهمية.

الدراسات السابقة:

هنالك دراسات عديدة للتماسك النصي تنوعت في التطبيق على نصوص قرآنية، وأحاديث نبوية، وقصائد شعرية منها على سبيل المثال لا الحصر:

- صبيح إبراهيم الفقي (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، رسالة دكتوراه، جامعة طنطا، دار النابغة، 1436) كانت رسالة تطبيقية على السور المكية جاءت في جزأين تحدث فيهما عن تعريف النص وأهم مصطلحاته، وأدواته، وكذا قام بالدراسة التطبيقية على بعض أدوات التماسك من الإحالة والحذف والتكرار.
- أسامة جبر (سورة الإسراء دراسة تحليلية نصية، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، 2004) قدم فيها تحليلاً تطبيقياً لآليات التماسك النصي في الترابط النحوي، والدلالي، والمعجمي، والسياقي بعد أن تحدث في الجزء النظري عن مفهوم النص، ونحو الجملة، وكيفية الانتقال من دراسة الجملة إلى دراسة النص بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى.
- محمد الأمين (التماسك النصي من خلال الإحالة والحذف دراسة تطبيقية على سورة البقرة، رسالة دكتوراه 1435) تحدث فيها المؤلف عن نشأة لسانيات النص، ومفهومها، ومفهوم التماسك النصي، وأدواته النحوية وآلياته الدلالية، كما حملت طيات رسالته الحديث عن الإحالة والحذف، ودورهما في تحقيق التماسك النصي لسورة البقرة وتحدث عن كل ما يتعلق عن الإحالة والحذف من مفاهيم وآليات كل واحد منهما في فصل لوحده.

وبعد البحث امتداداً للدراسات السابقة غير أنه يختلف عنها من حيث أنه طبق على "سورة عبس" وتقديمها أنموذجاً في التحليل النصي بوسيلة الإحالة، فالدراسات السابقة كانت تطبق النظرية بتركيز على سورة واحدة أو جزء من القرآن غير سورة عبس، أما هذا البحث يحاول أن يستفيد من الدراسات السابقة ويجعله بحثاً مكملًا وليس تكراراً لها.

منهجية البحث وخطته

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، والذي يتمثل في جمع المعلومة، ومناقشتها، وتحليلها تحليلًا علميًا وفق الضوابط والقواعد المعروفة.

حدود البحث:

الآيات القرآنية للسورة عبس المرتبطة بإحالة الضمير.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن تكون خطته على النحو التالي:

- مقدمة، وتشتمل على موضوع البحث، وأسباب اختياره، وأهميته، ومشكلته، وأهدافه، ومنهجية البحث وخطته.
- المبحث الأول: التمهيد: نظرية التماسك النصي، ويشتمل على:
 - المطلب الأول: تعريف التماسك النصي، وأدواته.
 - المطلب الثاني: تعريف الإحالة، وأنواعها، وأدواتها.
- المبحث الثاني: دور الإحالة في تحقيق التماسك النصي، ويشتمل على:
 - المطلب الأول: الإحالة في الدرس القديم والحديث.
 - المطلب الثاني: التحليل النصي للسورة القرآنية.
- الخاتمة: خلاصة بأهم النتائج- قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التمهيد: نظرية التماسك النصي:

التمهيد:

نجد اختلاف بين العلماء في بداية نقطة اتجاه دراسات نحو النص بدلا من التركيز على دراسة الجملة فمنهم من ذكر أن البداية كانت في منتصف ستينيات القرن الماضي، فيما ذهب آخرون إلى أن ظهورها كان في بداية سبعينيات القرن نفسه على يد فان دايك، ومنهم من رأى جازما أنها ظهرت على يد هاريس في بداية النصف الثاني من القرن العشرين مقدمين دليلا على رأيهم أن أول تحليل للنصوص نشر له بعنوان "تحليل الخطاب" فتلك نقطة البداية التي أدرك بها العلماء أهمية النص، وإن دراسته سببا يوصل إلى الفهم الأمثل للغة.

نعلم من اختلاف الآراء السابقة أن نظرية نحو النص نظرية لا ترجع أفكارها إلى باحث أو باحثين معينين وإنما هي نظرية ولدت من رحم مجهودات وأفكار طويلة متتابعة حتى أصبحت نظرية راسخة على يد بوجراندي في ثمانينيات القرن السابق في مؤلفه "النص والخطاب والإجراء"، فعلم اللغة النصي . نحو النص . علم انبثق من بؤرة نظرية نحو الجملة، فالنص يتكون من جمل متتابعة مترابطة مع بعضها لبعض، فالتركيب اللغوي للجملة يساهم في بناء الوحدة اللغوية الكبرى " النص".

ومن الدراسات اللسانية النصية الحديثة نظرية التماسك النصي التي تفرض علينا تحديد مفهوم النص الذي جاء عند ابن منظور (1414) بعدد من المعان تظهر في أولا: الظهور والبيان وذلك في قوله: "النص: رفعك الشيء نص الحديث ينصه نصا: رفعه وكل ما أظهر فقد نص"، أما الثاني: الرفع والتحريك وذلك في قوله: "ونصا بالمتاع نصا جعل بعضه على بعض ونص الدابة ينصها نصا، رفعها في السير وكذلك الناقة" والمعنى الثالث: الشدة والوصول بالشيء إلى أقصى غايته، وذلك قوله: ".... وأصل النص أقصى الشيء وغايته ثم سمي به ضرب من السير سريع" والمعنى الرابع: الاستقصاء والبحث عما جهل، وذلك في قوله: " ونص الرجل نصا إذا سأله عن الشيء حتى يستسقي ما عنده"، والمعنى الخامس: الاستقامة والاستواء، يقول: "وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام قال الراجز:

فبات منتصا وما تكردسا" وجاء عند مصلوح نقلا عن بوجراند أن النص: "حدث تواصلتي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبع معايير وهي الربط والتماسك و القصدية والمقبولية والإخبارية و الموقفية و التناس" (1991: 154) أما النص عند جوليا كريستيفا كما نقله فضل فهو: " جهاز عبر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة، بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيرا إلى بيانات مباشرة، تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها" (1992: 229) أما مفهوم النص عند هاليدي، ورقية حسن مفهوم مبني على فكرة الترابط فيقولان عنه كما نقل عنهما خطابي أنه: "تشكيل كل متتالية من الجمل نصا، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصره هذه الجمل علاقات، تتم بين عنصر وآخر وورد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصرين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة" (1991ص13).

ونلاحظ من العرض السابق أنه لا يوجد تعريف متفق عليه للمفهوم النص: هذا بسبب التباين الذي يعكس اختلاف التوجهات المعرفية النظرية للعلماء، لكننا نجد أن القاسم المشترك فيها هو الربط، لذا كان الربط هو السمة الأساسية للنص، ويعد تعريف بوجراند أشمل تعاريف النص؛ لأنه تعريف يراعي النواحي التي تتعلق بالنص " الربط و التماسك" والنواحي التي تتعلق بمنتج النص " القصدية المقبولية" والنواحي التي تتعلق بمتلقي النص "التناس، الإخبارية، الموقفية" وبأقل قدر من تلك المعايير يتحقق التماسك النصي، لكن الوسيلة المهمة للحكم على نصية النص تحقق بمستويين يعتبران العصب الأساسي للتماسك، وهما السبك و الحبك.

وسائل التماسك النصي:

إن الوسائل اللغوية وغير لغوية التي يحتاجها السبك والحبك ليحكم بناء النص ويتماسك وتترابط أجزاءه بعضها ببعض، لا غنى عنها في الحكم على نصية النص وتماسكه وفهمه؛ لأن كل ما يؤدي إلى الوضوح يكون سببا في تماسك النص وهي: " الإحالة، العطف، الحذف، التكرار، الإبدال، الترادف، المطابقة، السياق" (الفقي، 1436: 113) نجد هنا إن الوسائل المحققة للتماسك تنوعت منها الخارجي ك" السياق، والإحالة الخارجية " الداخلي دلالي ك" الإبدال، الترادف، الحذف"، الداخلي الشكلي ك" العطف، التكرار"، المشتركة بينهم كالعطف، ولتنوعها واختلافها سيتم التركيز على أداة موضوع الدراسة، وهي: الإحالة.

المطلب الثاني: تعريف الإحالة، وأنواعها، وأدواتها:

لقد كثرت المصطلحات الدالة عليها كالإشارة، المرجع، الإسناد، وهي أداة من الأدوات المهمة التي تحقق التماسك وتساهم بالربط اللفظي والدلالي بين الكلمات والجمل المكونة للنص، فالإحالة أداة تخضع لقبيد دلالي أكثر من القيد النحوي، لذا يجب التطابق بين عناصرها في الخصائص الدلالية، وقد جاء عند ابن منظور (1414): "ورجل محوّل: كثير محال الكلام...ويقال أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته، وروى ابن شميل عن الخليل بن أحمد أنه قال: المحال الكلام لغير شيء...والجوّال: كلّ شيء حال بين اثنين...حال الرّجل يحول تحوّل من موضع إنّ كلمة " أحال " تستعمل لازمة ومتعدّية ؛ وإذا تعدّت... إلى موضع الجوهريّ: حال إلى مكان آخر أي تحوّل).

اصطلاحا:

فقد جاءت عند دي بوجراند بأنها: "العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء و المواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات" (1418: 172) أما دافيد كريستال يربط الإحالة بالنحو فيقول: "ليعتبر به غالبا عن علاقة التعريف التي توجد بين الوحدات النحوية كأن يحيل ضمير إلى اسم أو جملة اسمية" (الأمين ص31) أما الأزهر الزناد يقول: "تطلق على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر من عناصر أخرى مذكورة في أجزاء

أخرى من الخطاب فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو المذكور بعد ذلك في مقام آخر" (1993: 118).

ومن خلال التعريفات السابقة نجد أن:

- الإحالة ربطت بالمستوى النحوي الشكلي.
- وظيفة الإحالة وعناصرها هي: الربط بين المتقدم والمتأخر.
- العناصر الإحالية مهمة لا تملك دلالاتها في ذاتها بل بما قورنت به.

ونجمع مما سبق تعريفاً للإحالة: هي عناصر علاقاتها الدلالية مرتبطة بربط السابق باللاحق والداخل بالخارج والعكس، وتتحقق العلاقات الإحالية بواسطة الضمائر بأنواعها، وأسماء الإشارة والموصولات، وتتوفر مجموعة من العناصر: هي المتكلم، اللفظ المحيل، المحال إليه، العلاقة بين المحال إليه، واللفظ المحيل لذا جاءت أقسامها عند (البطاشي، 2013م: 165) على النحو التالي:

أولاً: الإحالة النصية: هي التي تحيل إلى عنصر سابق أو لاحق داخل النص.

ثانياً: الإحالة المقامية: وهي التي تحيل إلى عنصر خارج النص. ويمكن تلخيصها على الشكل التالي:

| نوع الإحالة: | أقسامها: | مثال: |
|---------------|---|--|
| إحالة نصية | * إحالة قبلية: تحيل إلى سابق. * إحالة بعدية: تحيل إلى لاحق | * قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ |
| إحالة مقامية. | - | * قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ |

نجد في المثال الأول الضمير المتصل بلفظ "ربه" الهاء يحيل إلى إبراهيم . عليه السلام . وكذلك الضمير المتصل بالفعل "أتمهن" يحيل إلى لفظ كلمات السابق ذكرها، أما في المثال الأخير نجد أن المحال إليه هنا هو الرسول ﷺ . وهو خارج النص، ومن المثالين السابقين يتضح لنا الفرق بين الإحالة النصية والمقامية حيث أن الإحالة المقامية تسهم في انتاج النص؛ لكونها تربط اللغة بسياق المقام، في حين تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص (البطاشي، 2013: 165) قلنا فيما مضى من سطور أن آليات الإحالة وأدواتها مهمة الدلالة، وهي بذلك تعتمد على المتلقي لتحديد ما ارتبطت به؛ لأجل تفسيرها ومعرفة نوعها وعناصرها.

المبحث الثاني: دور الإحالة في تحقيق التماسك النصي:

المطلب الأول- الإحالة في الدرس اللغوي القديم والحديث:

لا يخفى على المتصفح في كتب التراث اللغوي العربي يجد أن الدراسات المعاصرة قد بنيت أركانها على نتاج دراسات العلماء القدماء، والاختلاف يكمن فقط في المصطلحات، ومن أمثلة تلك النظريات نظرية التماسك النصي، والتي يقابلها نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، والتي تناولها في كتابه دلائل الإعجاز منذ قرون، فنظرية النظم ليست بعيدة عن أفكار لسانيات العصر الحديث؛ لأنهما يتفقان في الغاية والهدف فكلتاهما تدور حول دراسة النص ومعرفة كيفية تحقيق التماسك والتناسق فيه، وإن عبد القاهر استخدم مصطلح النظم؛ تأكيداً وإقراراً منه إن ضم الحروف والكلمات في دراسة الجمل ودراسة الجمل في النص بالتراكيب النحوية يحقق الترابط والتماسك الكلي للنص، وإن الترابط بين الأدوات اللغوية في الجمل يسمى عند المحدثين الاتساق الذي يجب أن يتحقق مع مراعاة

الجانب الدلالي "الحبك" وهذا يعتبر النظم مصطلحا يقابل مصطلح الانسجام أو الاتساق في الدراسات النصية الحديثة.

كما أننا نجد من خلال الاطلاع على كتاب دلائل الأعجاز مصطلح التعليق، ويعرفه الجرجاني بالقول: "واعلم أن النظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض ولجعل هذه بسبب تلك هذا مالا يجمله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس" (1991: 54) وهذا أمر يدل على أن العرب كان لهم سبق قدم في ميدان علم اللغة النصي، وأن تلك النظرية أينما هي بضاعتنا ردت إلينا، فنظرية النظم تدور حول خطاب اللغوي للقرآن الكريم وإظهار إعجازه من خلال الكشف عن تماسكه وانسجامه، فالناظر في النظرتين يجد الاتفاق والتطابق الكبير الكثير في المفاهيم بين حقل لسانيات النص الحديث ونظرية النظم.

وإن عدم وجود لفظة "الإحالة" صراحة في التراث اللغوي لا يعني إغفال علماء اللغة والبلاغة لها بل جعلوها مقاربة من أبواب دراساتهم وموضوعاتها كدراسة الضمائر وأسماء الإشارة وأسماء الموصولة، حيث فصلوا القول فيها، وانتبهوا لدورها في الربط بين أجزاء النص، وإزالة الغموض وتوضيح المعنى، وخير شاهد على ذلك كتاب الزمخشري "تفسير الكشاف" الذي عبر بين طياته عن أسرار التعبير باسم الإشارة واسم الموصول وأنواع الالتفات فيما يخص استعمال الضمير، وكل ما يتعلق بالنحو ووجوه الإعراب، وغيره من الكتب التراثية الكثير.

واهتم العلماء القدماء بالروابط الإحالية نجده من خلال جهودهم التي ميزوا بها الضمائر الدالة على المتكلم، المخاطب، الغائب المفرد المذكر، المفرد المؤنث، الجمع المذكر، الجمع المؤنث، وكذا قسموها إلى ضمائر منفصلة وضمائر متصلة، وتحدثوا عن مرجعها، وحذقوا أهميتها ووظيفتها، وقدرتها للكشف عن معاني النص والربط بين جملة وكلماته "إلا أن تناولهم تميز بالانتباه إلى احتمال تعدد ما يحيل إليه الضمير وما يشير إليه اسم الإشارة" (خطابي، 1991: 173)

وعن مفسر الضمير تحدث الأندلسي بقوله: "ضمير المتكلم وضمير المخاطب تفسرهما المشاهدة وضمير الغائب يحتاج إلى مفسر والأصل في مفسره أن يكون متقدماً عليه، فإذا تقدم اسمان مستويان في الإسناد كان الضمير عائداً على الأقرب إلا إن دلّ دليل على أنه لغير الأقرب مثال: جاءني زيد وعمرو أكرمه فالضمير لعمرو، واشترت جواداً، وعلما فركبته فالضمير للجواد، فإن لم يستويا في الإسناد، وكان الثاني في ضمن الأول عاد على المقدم خلفاً لأبي محمد بن حزم في زعمه: أنّ الضمير في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ رَجْسٌ﴾ عائِد على الخنزير لا على اللحم؛ لكونه أقرب مذکور" (1418، ج: 2: 941)

ويتضح لنا من خلال قول أبي حيان أن المشاهدة تفسر ضمائر المتكلم والمخاطب، وهذا ما اتفق عليه علماء النص الحديث بأن تلك الضمائر تدل على شيء خارج النص أي الإحالة المقامية التي جاءت عند أبي حيان بلفظة المشاهدة، وأن ضمير الغائب مفسره سابق له أي داخل النص، وهذا النوع الآخر من الإحالة عند علماء النص الإحالة النصية، والأصل أن ضمير الغائب متأخر عن مفسره غير سابق له إلا إذ وجد دليل دل عليه جاء بعده.

فتلاحظ من خلال الإشارات البسيطة السابقة أن العلماء العرب القدماء فهموا الإحالة من خلال الاهتمام بالضمائر وأدراكهم لضرورة وجود مفسر لها، ليزول غموضها بالبحث عنه داخل النص أو خارجه، وتلك الجهود دليل لا يدع مجالاً للشك أن التراث العربي بذرة نواة للركائز الأساسية للنظريات الحديثة.

المطلب الثاني: التحليل النصي للسورة القرآنية

التعريف بسورة عبس:

تقع سورة عبس في الجزء الثلاثين في الحزب التاسع والخمسين من الربع الثاني، سورة مكية عدد آياتها اثنان وأربعون آية يكاد يكون الموضوع الأساس الذي تركز عليه الآيات مرتبط بالإنسان من حيث هو إنسان وما يحصل له من كرامة إن تبع الهدى أو كأن نقول المقصد الأساسي للإنسان والهداية، ولهذا نجد أن بداية السورة تبرز هذا الجانب، فالرسول الكريم كان حريصاً على هداية رجل، ورجل أعشى جاء يطلب التزكي والعلم من النبي الكريم، ولو تأملنا موضوعات السورة سنجد أنها تعود إلى هذا المعنى، أما سبب نزولها فقد خرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها . قالت: أنزل (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الأعشى أتى رسول الله فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله يعرض عنه ويقبل على الآخر، يقول له: أتري بما أقول بأساً؟ فيقول لا، فنزلت (عبس وتولى * أن جاءه الأعشى) (البخاري، 1422، ج6: 666).

تحليل السورة:

قبل الخوض في التحليل النصي للسورة نجد أنها تحتوي موضوعات جزئية تدعم المحور العام لها وهي

كالتالي:

- المقطع الأول: يدور حول قصة الصحابي الجليل الذي جاء إلى النبي ﷺ عبدالله بن مكتوم من الآية 1 إلى 10
 - المقطع الثاني: يتحدث عن موطن تركية النفوس وهو القرآن الكريم من الآية 11 إلى 16.
 - المقطع الثالث: يدور حول الإنسان الكافر من الآية 16 إلى 23.
 - المقطع الرابع: يتناول نعم الله على عباده التي يقودهم التفكير فيها إلى الهداية والإيمان باليوم الآخر من 24 إلى 32.
 - المقطع الخامس: يدور حول يوم القيامة وأهواله وذكر الفريقين الفائز بالجنة وخاسرها من 33 إلى 42.
- ولا شك في أن أداة الإحالة قد قامت بدور فعال في تحقيق التماسك الكلي والجزئي لموضوعات السورة فكيف ساهمت الإحالة بالضمير في تحقيق ذلك التماسك؟

الإحالة الضميرية في سورة عبس:

حفلت السورة بحشد كثيف من الضمائر التي تحيل إلى مرجع داخلي وآخر خارجي، ولا ريب أن هذا أمر له دلالته، ووظيفته في تحقيق الترابط والتماسك بين الآيات، حيث نجد أن أغلب ضمائر الآيات تعود إلى العناصر التالية: الرسول الكريم، الصحابي الجليل، الرجل الآخر، القرآن الكريم، الإنسان، وقد بلغ عددها 55 ضميراً بين ظاهر ومستتر.

تحليل المقطع الأول*:

إن الرسول ﷺ معصوم عن الخطأ فكلامه وأفعاله تشريع فالله عز وجل يقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: 3: 4) لكن هنالك هامش له يفرق به الناس بين مقام الألوهية ومقام النبوة حتى لا يعبد النبي الكريم من دون الله عز وجل، ومن تلك المواقف التي توضح لنا ذلك قصته مع الصحابي الجليل عبدالله بن مكتوم، والتي مضمونها أن الرسول ﷺ جاء إليه زعيم من زعماء قريش، وهو إنسان متبوع؛ فحرص النبي ﷺ على هدايته للإسلام، ويتبعه أتباعه في الدخول إليه، بينما النبي الكريم حريصاً حرصاً لا حدود له على هدايته جاء إليه

ابن مكتوم وهو رجل كفيف، فعبس له النبي صلى الله عليه وسلم، فعُتب محمد . عليه السلام . وهو عتاب له وليس عليه؛ لأنه حمل نفسه فوق طاقته مع ذلك الرجل ونلاحظ أن آيات ذا المقطع بالترتيب كما يلي:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * أَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾.

لم يجر ذكر صريح للنبي ﷺ في الآيات، ومن ثم فمرجعية هذه الضمائر كلها خارجية، ولكن السياق وسبب النزول أوضح إلى من تعود تلك الضمائر، أما بقية الضمائر فهي تعود إلى الصحابي الجليل عبدالله بن مكتوم . رضي الله عنه . (لعله، يزكي، يذكر، تنفعه، يسعى، يخشى، عنه)، فالضمائر تعود في أغلبها إلى النبي ﷺ وهذه العودة تتجه صوب الآية الأولى "عبس وتولى" فهي المفتاح الدال الذي تتشابه به، وتجتمع إليه بقية ضمائر الآيات في ذا المقطع، لذا فإن الآية الأولى تبعا للسياق تعد النواة التي يدور حولها المقطع وعلى الرغم من مرور ثمان آيات بين الآية الأولى والعاشرة، فقد أدت الضمائر إلى التماسك بين الآيتين فكلاهما تحمل ضمائر لرسول الكريم، وهذا أمر يحقق تماسكا دلاليا بين الآيات على الرغم من تباعد طرفي المقطع بثمان آيات.

تحليل المقطع الثاني:

بعد ما ذكر الله عز وجل حادثة النبي الكريم وعتبه له، ذكر أن القرآن هداية إنما هو تذكرة وتنبيه للغافل والرسول ﷺ إنما مبلغ لتلك الرسالة يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (القصص: 56) وإن الله تكفل بحفظ القرآن فهو كتاب منزه من العيوب والنقائص أنزله على الناس بوساطة الكرام البررة، ونلاحظ أن آيات ذا المقطع بالترتيب كما يلي: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾.

نلاحظ أنه حدث الالتفات الذي غير مجرى الضمائر إلى موضوع آخر غير موضوع المقطع الأول، لكنها ضمائر تسير في نفس الاتجاه؛ فالآيات ضمائرها تعود إلى القرآن الكريم "تذكرة" وهي مرجعية داخلية سابقة لذا وجد التماسك الدلالي الشكلي بين الآيات، كما أنه في هذه الآيات استخدم الاسم الموصول "من" للربط بينها كما أنه يعد عنصر أحيل إليه ضمير الفعل (شاء)، و التماسك الدلالي بين الآيات في ذا المقطع يرتبط بالموضوع العام للسورة.

تحليل المقطع الثالث:

تحدث الله فيه عن مراحل خلق الإنسان وأنه يسر له الأسباب الدينية والدينية في حياته؛ ليعيش مكرما ويستمر الإكرام له بدفنه بعد موته ثم يبعث للجزاء، وكل امرئ بما كسب رهين، لكن الإنسان الكافر معاندا أشد عناد رغم ضعفه فلا يقوم بأوامر الله ونواهيه "قتل الإنسان ما أكفره"، فجاءت آيات ذا المقطع بالترتيب كالتالي:

﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرُهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾.

نجد من الآيات السابقة إن الضمائر تقوم بالإحالة النصية السابقة إضافة إلى الإحالة المقامية، فهذه الضمائر الثمانية موزعة على ستة آيات ترجع كلها إلى الإنسان، بما يجعل هذه الآيات متماسكة في وحدتها الموضوعية وهو التذكير بمراحل حياة الإنسان ونهايتها.

* جميع تفسيرات الآيات ينظر إلى تفسير السعدي (2013، ص 957)

كما إن الله عز وجل لم يجر ذكره صريح في الآيات السابقة وبناء عليه؛ فإن مرجعية الضمير المستتر الذي وقع فاعل للأفعال كلها خارجية اعتمد على معرفة مرجعيتها السياق اللغوي والاجتماعي، كما أننا نلاحظ في ذا المقطع أن التماسك الدلالي يتضح من خلال أمران أحدهما: وحدة موضوع الآيات، والآخر في الإحالة إلى مرجع واحد، بينما التماسك الشكلي يوجد في اتحاد الضمائر في المرجعية وعدم استغناء الآيات عنها.

تحليل المقطع الرابع:

إن الله سبحانه وتعالى أرشد الإنسان إلى النظر والتفكير؛ لمهتدي لطريق الهدى والهداية كالنظر في أحياء الأرض بالمطر الذي كان سببا في إخراج رزقه من باطن الأرض من زيتون ونخل وعنب وحدائق ذات شجر طويل، فذا الرزق والخير باق حتى يوم القيامة ف"متعا لكم ولأنعامكم". وبالترتيب تكون آيات ذا المقطع كالتالي:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَأَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾.

نجد أن الضمائر الثمانية الموجودة في الآيات السابقة تحيل إلى الله عز وجل والإنسان، فالأول جاء على نوع الإحالة الخارجية، والآخر على نوع الإحالة النصية السابقة، فالضمائر هنا توزعت في اتجاهين، ومع ذلك نجد التماسك الدلالي قائم في ذا المقطع، وهذا من مميزات النص القرآني، فالمقطع كله يتحدث عن موضوع واحد وهو نعم الله على عباده وما تستدعيه تلك النعم من الإيمان بالله وحده.

تحليل المقطع الخامس:

جاء المقطع النهائي لسورة عبس تصويرا لصرخة نهاية الحياة الدنيا وأحوال ذلك اليوم، وأن كل امرئ قد اشتغل بنفسه لا يلتفت إلى أعز الناس إليه، حتى يفصل الله بين خلقه، فمنهم سعيد ومنهم شقي، وقد جاء آياته كالتالي: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَمَاءُ * غَيْرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجِرَةُ﴾.

إن الضمائر " أخيه، أمه، أبيه: احبته، بنيه، منهم، يغنيه" تعود إلى الإنسان في الآية الثانية على سبيل الإحالة النصية السابقة، أما الضميران في " عليها، ترهقها " يعودان إلى وجوه الكافرين، أما الضمير المنفصل في نهاية السورة نجده يعود ويرتبط بأمر وقع في بداية السورة إذ أجمع المفسرون أنه يعود إلى أولئك الزعماء الذين غرهم عزهم ومالهم عن الهداية والدخول في الإسلام، إضافة إلى أن الضمير قورن باسم الإشارة أولئك الذي يشير إلى أمر بعيد، فعاقب الله عز وجل من استكبر عن عباده بعاقبة سيئة.

فالتماسك الدلالي الشكلي بين الآيات واضح جلي، فالضمائر تماسكت لتحقيق مقصد المقطع؛ فهي تتجه من ناحية الشكل إلى شخص واحد ومن ناحية الدلالة حملت آيات ذا المقطع معنى واحد، كما أن استخدام اسم الإشارة " أولئك" للربط بين بداية السورة بنهايتها ساهم في تماسك مقاطع السورة حيث كان له أثر فعال في تحقيق تماسك جلي وبين.

ومن خلال ما سبق يتضح أن أداة الإحالة قامت بدور كبير في تحقيق التماسك النصي في هذه السورة وخاصة الإحالة بالضمائر التي تميزت بالتواتر المطرد من بداية السورة إلى نهايتها، وكانت المرجعية في أغلبها داخلية سابقة؛ حيث أن متلقي النص مطالب بالنظر إلى ما سبق ذكره لمعرفة العناصر الإشارية المحال إليها وتحديدها.

كما إننا نجد أنماط أخرى للتماسك وجدت في تلك السورة كتماسك المناسبة الذي يعد مكملا للنمط التماسك بالإحالة، فالقصة التي جاءت في بداية السورة تماسكت باسم السورة، والسورة نفسها تماسكت من المقطع الأول إلى المقطع الأخير، كما وجد أيضا مظهر من مظاهر التماسك بين سورة عبس والسورة التالية لها وهو

مظهر يدل على شمولية النص القرآني وإعجازه، فالسيوطي يقول في كتابته الاتقان نقلا عن غيره: "إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يختفى تارة ويظهر تارة أخرى" وقد جاء عن السيوطي كتابا سماه "تناسق الدر في تناسب السور" يتحدث فيه عن علاقة خاتمة السورة بفاتحة السورة التالية لها (1394، ج3: 331)، فسورة عبس انتهت بالحديث عن يوم القيامة وأحوال الناس فيه بينما جاءت فاتحة سورة التكويد بعدها تتحدث عن أهوال يوم القيامة، فذا نوع من الأنواع التي يتحقق بها التماسك في معجزه الله عز وجل الباقية الخالدة.

الخاتمة:

كانت تلك دراسة على القرآن الكريم، ليست جديدة في مجالها لكن وجه الجدة فيها أنها تطل على نص "سورة عبس" وتهدف تلك الدراسة إلى الوصول إلى قراءة تلك الآيات بوساطة علم اللغة النصي، وقد خرجت تلك الدراسة بما يلي:

- إن التراث اللغوي العربي لم يخلُ من ركائز لسانيات النص الحديث، لكنها افتقدت إلى الضبط المصطلح قديما.
- كثرة الإحالة بالضمائر في السورة حيث وجد بها 55 ضميرا مقارنة بأدوات الإحالة الأخرى، فاسم الإشارة ورد مرة واحدة " أولئك" وكذا اسم الموصول "من"، وهذا دليل على أن الضمائر أقوى أدوات الربط.
- ليست الإحالة الداخلية فقط من ساهمت في الربط بين الآيات بل أن للإحالة الخارجية دورا بارزا في تحقيق التماسك إضافة إلى دورها في وضوح الدلالة.

التوصيات والمقترحات

استنادا إلى ما بينته نتائج الدراسة توصي الباحثة وتقتح: إجراء المزيد من الدراسات حول معطيات لسانيات النص اللغوي في مختلف سور القرآن الكريم؛ باعتباره أرقى النماذج إضافة إلى ما يتسم به من الشمولية والدقة، كما أن تطبيق نظريات علم اللغة النصي من شأنه أن يكشف وجوها جديدة من إعجاز كتاب الله.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ت: رجب عثمان محمّد، مكتبة الخانجي، القاهرة 1418هـ.
- الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي، 1993م.
- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1394هـ.
- جمال الدين محمد مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994.
- الحسن بن عبدالله العسكري، الصناعتين، ت: علي البجاوي ومحمد علي، دار الأحياء، 1371هـ.
- خليل البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، 2013م.
- روبرت دي بوجراند، النص الخطاب والإجراء، ت: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1418، 1998.
- سعد مصلوح، نحو اجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة: فصول، المجلد 10، ع: 20، 1991.

- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، رسالة جامعية، جامعة طنطا، دار النابغة، 1436هـ.
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، علم المعرفة، العدد 164، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992م
- عبدالرحمن ناصر السعدي، تفسير السعدي، ق: عبدالله عقيل . محمد العثيمين، ت: عبدالرحمن معلا. عزالدين، مؤسسة الرسالة ط2، 2013م
- عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز "علم المعاني"، السلسلة الأدبية تحت إشراف: محمد بلقايد، موفم 1991م.
- محمد الأمين، التماسك النصي من خلال الإحالة والحذف دراسة تطبيقية على سورة البقرة، رسالة جامعية 1435هـ.
- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت: محمد الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ..
- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991م.
- محمود عكاشة، الربط في اللفظ والمعنى، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2010م.